

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحِ اللَّهُ عَلَيْهِ». قَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءً أَنْ أُدْعَى لَهَا، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَقَالَ: «امْشِ وَلَا تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ»، فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا، ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ؛ فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى مَاذَا أَقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: «قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابُهَا عَلَى اللَّهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، الراية: هي ما يُسَمَّى عندنا العَلَمُ، يحملُه القائد من أجل أن يهتدي به الجيشُ وراءه، فقال: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ». وقوله: «رَجُلًا» نكرة لا يُعلم مَنْ هو، قال عمر بن الخطاب: فما تمنيتُ الإمارةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، رجاء أن يصيبه ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام، فتسوّرتُ لها وبات الناس تلك الليلة يخوضون ويدوكون، كلُّ منهم يرجو أن يُعطاهَا، فلما أصبحوا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أين عليُّ بنُ أبي طالب؟» - ابن عمّه - قالوا: يا رسولَ الله، إنّه يشتكي عينيّه، يعني عنده وجعٌ في عينيّه، فدعا به، فجاء، فبصقَ في عينيّه؛ فبرأ كأن لم يكنْ به وجعٌ في الحال، والله على كلّ شيءٍ قدير، ثم أعطاه الراية، وقال له: «امْشِ وَلَا تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ».

ف فعل - رضي الله عنه - فلما مشى قليلاً وقف، ولكنّه لم يلتفت؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «لا تلتفت، فصرخ بأعلى صوتيه: يا رسول الله، على ماذا أقاتلهم؟ بدون التفات؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: لا تلتفت؛ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله»؛ هذه الكلمة كلمة عظيمة، ولو وُزنتُ بها السماوات والأرضُ لرجحت

بالسماوات والأرض، هذه الكلمة يدخل بها الإنسان من الكفر الإسلام، فهي باب الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

«فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»، يعني إذا قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإنهم لا يُقاتلون، مَنَعُوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، أي بحق لا إله إلا الله؛ أي بالحقوق التابعة لها؛ لأن لا إله إلا الله ليست مجرد لفظٍ يقوله الإنسان بلسانه، بل لها شروط ولها أمورٌ لا بدَّ أن تتم، ولهذا قيل لبعض السلف: إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» فقال: نعم، مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لكن لا بدَّ من عمل؛ لأنَّ المِفْتَاحَ يَحْتَاجُ إِلَى أَسْنَانٍ. وقد صدق - رحمه الله - : المِفْتَاحُ يَحْتَاجُ إِلَى أَسْنَانٍ، لَوْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ بَدُونَ أَسْنَانٍ مَا فَتَحَ لَكَ.

إذن: قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إِلَّا بِحَقِّهَا» يشمل كلَّ شيءٍ يكفر به الإنسان مع قول لا إله إلا الله، فإنَّ من كفر وإن كان يقول لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، ولكنَّه أتى بِمُكْفِرٍ؛ فإنَّ هذه الكلمة لا تنفعه.

ولهذا كان المنافقون يذكرون الله، يقولون: لا إله إلا الله، وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، هيئتهم وشكلهم كأنهم أكمل المؤمنين إيمانًا، ويأتون للرسول صلى الله عليه وسلم يقولون له: نشهدُ إنَّكَ لرسولُ الله، الكلام مؤكَّد بثلاث مؤكَّدات: (نشهد)، و(إنَّ)، و(اللام) في ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ فقال ربُّ العزَّة والجلال الذي يعلم ما في الصدور: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: 1]، أعطاهم شهادة بشهادة، يشهد إنَّ المنافقون لكاذبون، وأكد الله - عزَّ وجلَّ - كذب هؤلاء في قولهم: نشهد إنَّكَ لرسولُ الله، بثلاثة مؤكَّدات، فليس كلُّ من قال لا إله إلا الله؛ يُعصم دمه وماله؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم استثنى فقال: «إِلَّا بِحَقِّهَا».